

اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً

البذل الواسع عن إخلاص ورحمة يغسل الذنوب ويمسح الخطايا

الإسلام جعل الأموال المستخفية في الخزائن، المختبئ فيها حق السكن والياثس، شراً جسيماً على صاحبها في الدنيا والآخرة، إنها أشبه شيء بالتعابين الكامنة في ججورها كانتها رصيدة الذي للناس، بل إن الإسلام أبيان أنها تتحول فعلا إلى حيات قد أمرت و احدثت انبياها، تطارد صاحبها لتقضم يده التي غلبا الشح...ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعا أقرح يبيعه فاتحا قاه، فإذا فر منه يناديه، خذ كنزك الذي حيات، فاتا عنه غني فإذا رأى أنه لايد له منه سلك يده في فمه، فيقضمها تقضم الفحل».

وقد اتخذ الإسلام يفهم الإنسان بالحسنى والإقناع أن محبته الشديدة لما له قد تورده الخلف، وأنه لو فكر حقيقة ما بمك وفي عاقبته معه لراى الساحة افضل من الأثر، والعطاء خيرا من البخل يقول العبد: مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فافنى أو ليس قابلى، أو أعطى فافنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وخاركة للناس، وعجيب أن يشقى امرؤ في جمع ما يتركه لغيره، وإذا لم يستفد المسلم من ماله فيما يصلح معاشه ويحفظ معاده فم يستفيد بعد؟ وقد أضاف الرسول اللام عن هذه الحقيقة فقال: «أيكم مال وأرده أحب إليه من ماله؟ قالوا: يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: فإن ماله ما قدم ومال وأرته ما أخره». ومع ذلك، فإن النبي عندما أعلن عن جمع الزكاة تحسب برقى شاعر الحرص في الناس وتلطف في علاجها، فقال: «سياتكم ركب مغبضون يعني جامعي الزكاة فإذا جاءكم فرحبوا بهم وخلقوا بينهم وبين ما يبتغون فإن عدلوا فلأنفسهم وإن ظلموا فلعليهم، وأرضوهم فإن تمام زكاتكم، وضام وليدعوا لكم».

وتجاح الإنسان في إزاحة عوائق البخل التي تعترض مشاعر الخير فيه هو في نظر الإسلام فضيلة كاملة، إذ المعروف أن المرء يشتد ألمه في الحياة، وتتوقق الأوصره بها عندما يكون صحيح البدن، طامحا في المستقبل، يفتقد في ثقافته ويضعف في ثروته، ليطمئن إلى غد أرغد له ولثريته، فإذا غالب

- نجاح الإنسان في إزاحة عوائق البخل فضيلة كاملة في نظر الإسلام
- ما من شيء أشق على الشيطان وأبطل لكيده ووساوسه من إخراج الصدقات

هذه العوامل كلها ويسط كفه في ماله، ينفق عن سعة ولا يخشى الإثلا ولا ضياعا، فهو يفعل الخير العظيم، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرا؟ قال: «أن تصدق وانت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا». والبذل الواسع عن إخلاص ورحمة يغسل الذنوب ويمسح الخطايا: قال الله تعالى: «إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير»، وقال: «إن تقرضوا الله عقرضا حسنا يضاعفه لكم

ويغفر لكم وآله شكور حليم، عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم...». فلما أنزل المسلم إلى ذنب وشعر بانه باعد بينه وبين ربه، فإن الطهور الذي يعبد إليه تقاده ويرد إليه ضياده ويبلغه في سائر القرآن مع حسنائه، فرجحت حسنائه، فغفر له. ومن أروع الأمثلة في بيان ما زلني يتقرب بها إلى رحم الرحمن، عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «تعبد عابد من بني إسرائيل فعبد الله في صومعة سنين عاصما، فأماطرت الأرض فأخضرت، فأشرف الراهب من صومعته، فقال: لو نزلت فذكرت الله لمأزددت خيرا! فلزل ومعه رغيث أو رغيقان، فبينما هو في الأرض لقيته امرأة ظم يزل بكلمها

وتكلمه حتى غشيها، ثم أقمى عليه، فنزل الغدير يستحم، فجاءه سائل، فأوما إليه أن يأخذ الرغيثين، ثم مات... فوزنت عبادة سنين سة بذلك الزينة فرجحت الزينة بحسنائه، ثم وضع الرغيث أو الرغيقان مع حسنائه، فرجحت حسنائه، فغفر له. ومن أروع الأمثلة في بيان ما للعطاء والجود من أثر في الغفران والنجاة: ما أوحى الله به إلى نبيه يحيى ليعلمه أمته: «وأمركم بالصلاة»، ومثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه، وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول: هل لكم أن أفدي نفسي منكم؟ وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه «إن الصدقات التي تبدلها،

على اختلاف صنوفها، من زكاة أو هبة أو نفقة أو غير ذلك جليلة الخطر في معاش الإنسان ومعاده، وهي في أساسها تضعف أو تقوي صلة المسلم بدينه، ولن يحرم لآره كبحله في الحقوق وسوء ثقته بالله، ولن يسبق به كجوده وثقته به، ومن أروع الأمثلة في بيان ما يكمن في فضل الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، وصدقة السر تطفى غضب الرب، وصلة الرحم تحصوا»، وقال: «حسبوا أموالكم بالزكاة، ودأبوا مرضاكم بالصدقة، واستقبلوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع».

وسا من شسبه أشق على الشيطان، وأبطل لكيده، وأقلت لوساوسه من إخراج الصدقات،



ولذلك يقذف في النفوس الوهن حتى يطمئنا عن البذل، ويعلقها بالحمام الفاني، «الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم، وفي الحديث: «لا يخرج رجل شيئا من الصدقة، حتى يك غدا لحى سبعين شيطانا، كلهم عنها». إن الإنسان عندما يقسم راتبه أو دخله على مصارفه ومطالبه يجعل جزءا قل أو كثر يسلب الرجل نعمة الطمانينة في المستقبلات المهدومة، وينظر إليه على أنه مغارم لازمة وقد نيه الإسلام إلى أن المرء قد يسوغ له أن يعد طعامه وشرايه ودوايه في هذا الجزء المفقود... أما ما أنفق في سبيل الله فلا روي عن عائشة أنهم تبخوا شاة فقال النبي صلى

- من يجعل يديه ممراً لعطاء الله يظل مبسوط اليد بالنعمة مكفول اليوم والغد بالغدق الدائم من رحمة ربه
- اعتبر الله العطاء الجميل قرضاً حسناً لا يرده لصاحبه مثلاً أو مثلين بل أضعافاً مضاعفة

الله عليه وسلم: ما بقي منها؟ قالت ما بقي منها إلا كنفها، قال: بقي كلها إلا كنفها، وهذا صدق قوله عز وجل: «ما عندكم ينفد وما عند الله باق»، ويروي الرسول عن ربه هذا الحديث: «يا ابن آدم أفرغ من كنزك وعندي لا حرق، ولا غرق ولا سرق، أوفيكه أروح ما تكون إليه».

وقد يسبق الظن إلى أن السخاء ينقص الثروة ويقرب من الفقر ويسلب الرجل نعمة الطمانينة في المستقبلات المهدومة، وخيره المشهود، وهذا الظن من وساوس الشيطان التي يلقبها في نفوس القاترين الأذنباء... والحق أن الكرم طريق السعة، وإن السخاء سبب الفناء، وأن الذي يجعل يديه ممراً لعطاء

«اعقلها وتوكل»

تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع سنة الأخذ بالأسباب

من الله مستقل عن السبب لا يقدر عليه إلا الله: وبذلك يتحرر شعور المؤمن من التعبد للأسباب والتعلق بها، وفي الوقت ذاته هو يستوفىها بقدر طاقتها، ليبلل ثوابه في أحداث كثيرة ضرورة الأخذ بالأسباب، مع التوكل على الله تعالى، كما به عليه السلام على عدم تعارضهما، يروي انس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً وقف بناقته على باب المسجد وهم بالدخول، فقال يا رسول الله، أرسل راحتي وأتوكل؟- وكانه لا يهتم أن الأخذ بالأسباب ينفي التوكل على الله تعالى، فوجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن مباشرة الأسباب أمر مطلوب ولا يتناقض مع الأحوال التوكل على الله تعالى ما صدقت النبي في الأخذ بالأسباب- فقال له صلى الله عليه وسلم: «بل فيها وتوكل». وهذا الحديث من الأحاديث التي تبين أنه لا تعارض بين التوكل والأخذ بالأسباب، بشرط عدم الإغراق في الأسباب، والاعتماد عليها ونسيان التوكل على الله، وروي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافاً وتروح مطائفا».

وفي هذا الحديث الشريف حث على التوكل مع الإشارة إلى أهمية الأخذ بالأسباب، حيث أثبت الغدو والروح للظفر مع ضمان الله تعالى الرزق لها. ولابد لامة الإسلامية أن تدرك أن الأخذ بالأسباب للوصول إلى التمكن أمر لا محيص عنه، وذلك بتقريب الله تعالى حسب سنته التي لا تتخلف، ومن رحمة الله تعالى أنه لم يطلب من المسلمين فوق ما يستطيعونه من الأسباب، ولم يطلب منهم أن يعوا العدة التي تكافي تجهيز الخصم ولكنه سبحانه قال: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تغلبونهم الله يغلبهم وما تغلبوا من شيء) في سبيل الله يؤف إليكم وأنتم لا تظنون» [الأنفال: 60].

فكانه تعالى يقول لهم: افعلوا أقصى ما تستطيعون، احشدوا أقصى إمكاناتكم، ولو كانت دون إمكانات الخصم، فالإستطاعة هي الحد الأقصى المطلوب، وما يزيد على ذلك يتكفل الله تعالى به، بإمكاناته التي لا حدود لها، وذلك لأن فعل أقصى المستطاع هو برهان الإخلاص، والبناء، وأن يودعوا الأحلام والأمنيات وينهضوا للأخذ بكل الأسباب، التي تعينهم على إقامة دولة الإسلام، وصناعة حضارة الإنسان الموصول برب العالمين.

من السنن الربانية التي تعامل معها النبي صلى الله عليه وسلم سنة الأخذ بالأسباب، والأسباب جمع سبب، وهو كل شيء توصل به إلى غيره، وسنة الأخذ بالأسباب مفررة في كون الله تعالى، بصورة واضحة، فقد خلق الله هذا الكون بقدرته، وأودعه من القوانين والسنن، ما يضمن استقراره واستمراره، وجعل المسيات مرتبطة بالأسباب بعد إرادته تعالى، فارسي الأرض بالجبال، وأثبت الزرع بالماء... وغير ذلك، ولو شاء الله رب العالمين لجعل كل هذه الأشياء وغيرها-بقدرته المطلقة- غير محتاجة إلى سبب، ولكن هكذا اقتضت عظمة الله تعالى وحكمته، الذي يريد أن يوجه خلقه إلى ضرورة مراعاة هذه السنن ليستقيم سير الحياة على النحو الذي يريده سبحانه، وإذا كانت سنة الأخذ بالأسباب مبررة في عين الله تعالى بصورة واضحة، فإنها كذلك مبررة في كتاب الله تعالى، ولقد وجه الله عباده المؤمنين إلى وجوب مراعاة هذه السنن في كل شؤونهم الدنيوية، والإخروية سواء، قال تعالى (وقل اعقلوا فسيروا لله تعقلوا) ورسوله والمؤمنون وسيتروا إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» [التوبة: 105].

وقال تعالى: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلوا فامشوا في ملكها وكلا من رزقه وإليه النشور) [المائد: 15]. ولقد أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى طلب من السيدة مريم أن تناسي الأسباب وهي في أشد حالات ضعفتها قال تعالى: (وهزي إليك يديك لنتفأط غنك رطبا جنتا) [مريم: 25].

وهكذا يؤكد الله تعالى على ضرورة مباشرة الأسباب في كل الأمور والأحوال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أوعى الناس بهذه السنن الربانية، فكان «هو» يؤسس لبناء الدولة الإسلامية- يأخذ بكل ما في وسعه من أسباب، ولا يترك شيئا يسيرا، جزافا وقد لمسنا ذلك فيما مضى وسلمس ذلك فيما بقي بإذن الله تعالى.

وكان عليه الصلاة والسلام يوجه أصحابه دائما إلى مراعاة هذه السنن الربانية في أمورهم الدنيوية والأخروية على السواء.

التوكل على الله والأخذ بالأسباب

التوكل على الله تعالى لا يمنع من الأخذ بالأسباب، فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب الإيمان بالله ومطاعته فيما يأمر به من الشائها، ولكنه لا يجعل الأسباب هي التي تنتهي النتائج فيتوكل عليها.

إن الذي ينشئ النتائج كما ينشئ الأسباب هو قدر الله، ولا علاقة بين السبب والنتيجة في شعور المؤمن، اتخاذ السبب عبادة بالطاعة، وتحقق النتيجة قدر

الآيات هدفها بناء أمة سليمة الأعصاب مهذبة المشاعر طاهرة القلوب نظيفة التصورات

آداب الاستئذان وملكية الله للكون

■ لا حرج على القواعد من النساء

أن يخلعن ثيابهن الخارجية على ألا تنكشف عوراتهن

إن يبني أمة سليمة الأعصاب، سليمة الصدور، مهذبة المشاعر، طاهرة القلوب، نظيفة التصورات، ويخصص هذه الأوقات الثلاثة دون غيرها لأنها مظنة انكشاف العورات ولا يجعل استئذان الخدم والصغار في كل حين منعا للحرج فهم كثيرو الدخول والخروج على أهليهم بحكم صغر سنهم أو قيامهم بالخدمة؛ (طوافون عليكم بعضكم على بعض).. وبذلك يجمع بين الحرص على عدم انكشاف العورات، وإزالة الحرج والشقة لو حتم أن يستأذنوا كما يستأذن الكبار.

فأما حين يدرك الصغار سن البلوغ، فإنهم يدخلون في حكم الأجانب، الذين يجب أن يستأذنوا في كل وقت، حسب النص العام، الذي مضى به آية الاستئذان.. ويعقب على الآية بقوله: (والله عليم حكيم) لأن المقام مقام علم الله بنفوس البشر، وما يصلحها من الآداب، ومقام حكمته كذلك في علاج النفوس والقلوب.

الرخصة للقواعد من النساء

ولقد سبق الأمر كذلك بإخفاء زينة النساء منعا لإثارة الفتن والشهوات، فبعد هنا يستثنى من النساء القواعد: والقواعد من النساء اللاتي لا يربحن تكاحا فلفنس عليهن جناح أن يعضن ثيابهن غير متفرجات بزينة وأن يستعففن خبز لهن والله سميع عليم» (60) اللواتي فرغت نفوسهن من الرغبة في معاشره الرجال، وفرغت أجسامهن من الفتنة المخيرة للشهوات: فيؤلاء القواعد لا حرج عليهن أن يخلعن ثيابيهن الخارجية، على ألا تنكشف عورتهن ولا يكشفن عن زينة وخير لهن أن يفيقن كاسيات بلبابهن الخارجية الفضفاضة، وسمى هذا استعفافا، أي طفيا للفتنة وإيثارا لها، لما بين التبرج والفتنة من صلة، وبين التحجب والعفة من صلة.. وذلك حسب نظرية الإسلام في أن خير سبل العفة تقليل فرص القوائية، والحيلولة بين التليرات وبين النفوس.